

## من بحرنا العذب

مضت أعوام عديدة على ذلك اليوم الذي شعرت فيه بفتنة بدوار الصعود الفكري ، على أثر مطالعات كثيرة وتأملات عميقة في عزلة طويلة . وبدا ذلك على وجهي فسمعت طبيياً يسدى إلى النصيحة أن أترك كل شيء وأذهب من فوري إلى البحر ، أستنشق الهواء وأغمض عيني بنير تفكير . لقد كنت أحسب التأمل كل شيء في حياة الأديب ؛ وكنت أعتقد أن حياتي ستتمضي قراءة كلها وتفكيراً على ذلك النحو وبذلك المقدار ، فكنت أستسهل العاقبة وأتساءل عن النتيجة

ومرت الأيام فإذا بي أنصرف بعض الشيء عن المطالعة والتأمل . وإذا الأعوام تنفق في شيء آخر لم يكن في الحساب : هو البحث عن الجسم الذي يحل فيه تلك الأفكار الهائلة كالأرواح . هنا وضحت لمعنى العضلة . وفهمت أن التفكير في ذاته يسير ، ولكن المسير هو أن أقيم « الفكرة » على قدميها كأنها نابضاً يتحرك ويسير . إن القليل من عمر الفنان هو الذي يذبل في التفكير الصرف ، والكثير منه هو الذي يذهب في سبيل صنع ذلك اللحم والدم الذي ينبغي أن تسكنه الأفكار إن « الطبيعة » أستاذنا الأعظم نحن الأدياء والفنانين ، تفكر هي أيضاً ، غير أنها لا تفكر « كلاماً » فهي تجهل « اللغات الحية » ، ولكنها تفكر « مخلوقات حية »

« تفكير » الطبيعة « أسلوب » . وإن طريقها الواحدة في تركيب الكائنات جميعها : من عالم الجراثيم إلى عالم الأجرام لمي وحدها التي تقرأ منها تفكيرها . « الخلاق » في الفن أيضاً لن يستحق هذا الاسم حتى يصبح التفكير عنده مماثلاً لتفكير الطبيعة ، فيملك تلك القدرة السحرية أو الهبة السماوية التي بها يخرج أفكاره من رأسه تجرى لابسة أبواب الحياة كذلك خالقو الشعوب وبناء الحضارات ، كل عبقرتهم أنهم لا يفكرون « كلاماً » ، وأن الأفكار والتأملات عندهم هم أيضاً لا تكتب كما هي ولا تقال ، إنما ترى قائمة متحركة في صورة أمة ناهضة أو على شكل ثورة متفجرة

ذلك معنى « الخلق » . وتلك هي « الأفكار » في لغة كل خلاق

نورين الحكيم

ظاهرة الاختصاص وبروز الفروق في الأدب . فهذا عصرنا مليء بيواعت الانصراف من الداخل إلى الخارج كما كانت العصر السابع عشر ، ولكن علم النفس مع ذلك يتقدم باطراد ، ولكن الرواية النفسية التحليلية تحتل المكانة الأولى في مكتبة الأدب الحديث

وأحسب أن من الخير أن أعيد هنا ما كنت ذكرته في مقالتي السابق تعليلاً لظهور الدراسات الباطنة وما تلاها من تأسيس علم النفس التحليلي الذي مهده أدياء الأجيال الحديثة في كتابة القصة النفسية أو التحليلية فقد قلت هناك :

« إن هذه الدراسات الباطنة للنفس كانت مظهرًا عاديًا يتساق مع المظهر العام لنشاط الفكر البشري في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فلما كشفت الكشوف الفلكية والطبيعية والكيميائية والفيزيولوجية ، كشفت كذلك الكشوف في مجاهل النفس وخوافي الحس . فذا اصطنمت الطريقة العلمية في البحث وأخذ العلماء يجرون على أسلوب المشاهدة والفحص والاختبار اتخذت دراسة النفس خطة منظمة مجدية ، فظهر أولاً علم النفس العام وتلاه علم النفس التحليلي ؛ ولكننا نعود ونقول إن هذه الدراسة لم يكن الحافز فيها والباعث عليها انتهاء الكشوف الظاهرة ، وإنما كان الحافز عليها اتساع هذه الكشوف وسيرها على خطة علمية منظمة مجدية شملت الجماد والحيوان والانسان جميعاً ... الخ »

\*\*\*

وأخيراً نحن نسلم للأستاذ العقاد بنظريته جملة إذا فسر لنا نشأة علم النفس العام والتحليل بعمده معزولين عن فروع المعرفة الأخرى في القرن السابع عشر وبعده ، أما إذا اضطر أن يبيد علم النفس في نشأته وتقدمه إلى حظيرة العلوم الأخرى من حيث الصلة والزمن ، فأحسب أن نظريته لا تسلم له مهما حاول أن يستفيد من « الحس الاجتماعي » و « الدراسة الباطنية » و « الدراسة الظاهرية »

وفي الختام أمل ألا أكون أثرت في صدر الأستاذ الكبير بهذا الكلام غير الشمور الذي يثيره طلب الحق ونشدان الصدق  
أديب عباسي